

"

## أثر اختلاف اللغة العربية في أمور العقيدة (عودة الضمير نموذجاً)

### "The Impact of the Difference in the Arabic Language on Matters of Belief (Ex I Talk about the Pronoun and what it is referring to as a Model)"

الدكتورة/ خديجة حمادي العبد الله

أستاذ مشارك في قسم العلوم الإنسانية، كلية المجتمع، دولة قطر

Email: [Khadega.Alabdullah@ccq.edu.qa](mailto:Khadega.Alabdullah@ccq.edu.qa)

#### ملخص البحث:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على النبي الأمي، صاحب الخلق الجلي، وبعد.  
فإن هذا البحث عبارة عن تعريف عام بأحد أهم أسباب الاختلاف بين العلماء، ألا وهو الاختلاف في فهم دلالة المعنى وفق قواعد اللغة العربية وأثر هذا الاختلاف على آراء العلماء والفقهاء.  
بينت في المقدمة أن اختلاف الفقهاء والعلماء مردّه الأساسي في أحد وجوهه هو الاختلاف في اللغة العربية، وأخذت على ذلك مثلاً من اللغة ألا وهو عودة الضمير على ما قبله. ثم شرعت في ذكر أنواع عودة الضمير مع الأمثلة، ثم تطرقت إلى نموذج فقهي لاختلاف الفقهاء بسبب عودة الضمير في قوله تعالى: {أو يعفو الذي بيده عقدة النكاح}، هل هو الزوج أم الولي؟، ثم ذكرت مثلاً عن اختلاف السلف منذ عهد النبوة في مسألة من مسائل العقيدة ألا وهي رؤية النبي عليه الصلاة والسلام لربه في ليلة الإسراء والمعراج، ثم توسعت في ذكر المثال الأبرز في هذا البحث ألا وهو (خلق الله آدم على صورته).

وأما المنهج الذي اتبعته، فقد اتبعت في هذا البحث المنهج الاستقرائي، بالإضافة إلى المنهج المقارن والتحليلي.

تبين من خلال البحث أن من منهج السلف أن يعذر بعضهم بعضاً في المسائل الخلافية، فلا يتهم بعضهم بعضاً بالكفر والضلال والزيغ والانحراف والخلل في العقيدة في مسألة تحتمل الخلاف، وأما المسائل القطعية وما علم من الدين بالضرورة فالأمر على غير ذلك.

**الكلمات المفتاحية:** رؤية الله، الضمير، آدم، التأويل، القرينة، الدهرية، الطبائعيين، القدرية

## "The Impact of the Difference in the Arabic Language on Matters of Belief (Ex I Talk about the Pronoun and what it is referring to as a Model)"

**Dr. Khadega Hammadi AlAbdullah**

Associate Professor, Department of Humanities, Community College, State of Qatar

### **Abstract:**

Praise be to God, Lord of the Worlds, and prayers and peace be upon the illiterate Prophet, the owner of a clear character.

This research is a general definition of one of the most important reasons for the difference between scholars, which is the difference in deducing the meaning according to the rules of the Arabic language and the impact of this difference upon the opinions of scholars and jurists.

I explained in the introduction how the difference of jurists and scholars is due in one respect to the difference in the Arabic language itself. I mentioned an example from the language, which is how to find what a pronoun is referring to. Then I mentioned the types of indication with examples, and I mentioned a jurisprudential model for the difference of jurists due to the return of the pronoun "whose hand" in the Almighty's saying: {Or pardon the one in whose hand is the marriage contract}, is "whose hand" referring to the husband or the guardian? Then I mentioned an example of the difference in the Prophet's vision, peace and blessings of God be upon him, to his Lord On the night of the Isra and Mi'raj, then I mentioned the example (God created Adam in his image).

In this research, I followed the inductive method, in addition to the comparative and analytical method. I deduced from the research that the predecessors to excuse each other in controversial issues, not accusing each other of unbelief in matters that could be disputed.

**Keywords:** The vision of God, conscience, Adam, interpretation, presumption, secularism, naturalists, fatalism

## المقدمة:

الحمد لله رب العالمين الذي رزقنا هذا الكتاب المبين بلسان عربي مبين، فأنزله على نبي من الأميين، فحاز المنزلة العليا في الأولين والآخرين.

والصلاة والسلام على النبي الأُمي، صاحب الخلق الجلي، وبعد.

فإن هذا البحث عبارة عن تعريف عام بأحد أهم أسباب الاختلاف بين العلماء، ألا وهو الاختلاف في فهم دلالة المعنى وفق قواعد اللغة العربية وأثر هذا الاختلاف على آراء العلماء والفقهاء، فيرى طالب العلم لماذا اختلف الفقهاء فيما بينهم، وكيف فهم بعضهم دلالة النص على غير الفهم الذي فهمه غيره من النص نفسه.

ففي هذا البحث مقدمة عن أن اختلاف الفقهاء والعلماء مرده الأساسي في أحد وجوهه هو الاختلاف في اللغة العربية، وأخذت على ذلك مثلاً من اللغة ألا وهو عودة الضمير على ما قبله.

ثم شرعت في ذكر أنواع عودة الضمير مع الأمثلة، ثم تطرقت إلى نموذج فقهي لاختلاف الفقهاء بسبب عودة الضمير في قوله تعالى: {أو يعفو الذي بيده عقدة النكاح}، هل هو الزوج أم الولي، ثم ذكرت مثلاً عن اختلاف السلف منذ عهد النبوة في مسألة من مسائل العقيدة ألا وهي رؤية النبي عليه الصلاة والسلام لربه في ليلة الإسراء والمعراج، وأن أحد أهم أسباب الاختلاف في ذلك هو عودة الضمير في قوله تعالى: {أَفَتُمَارُونَهُ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ (12) وَلَقَدْ رَأَوْهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ} [النجم: 12، 13] هل يعود على الله تعالى، أم على جبريل؟

ثم توسعت في ذكر المثال الأبرز في هذا البحث ألا وهو (خلق الله آدم على صورته)، وسبب هذا الخلاف من حيث العربية وأشهر القرائن في صرف اللفظ على المعاني التي ذهب إليها العلماء، ثم قارنت بين الأقوال ووضعت رأي العثيمين والألباني والبراك باعتبارها جاءت وسطاً بين الأقوال المتضاربة.

ثم كتبت خاتمة موجزة للبحث كله، وختمت البحث بالمراجع.

**وتأتى أهمية البحث** من كونه يسعى أن يعذر المسلمون بعضهم بعضاً في المسائل التي تحتل الخلاف، كما فعل السلف من قبل، ولا يتهم بعضهم بعضاً بالتكفير والخروج من الملة لأجل رأي في مسألة في العقيدة اختلف فيها المسلمون منذ عهد السلف، فقد وجدنا مثلاً أن بعضهم يتهم الشيخ ناصر الألباني رحمه الله تعالى بأنه من المرجئة، بل اتهموه أنه رأس الإرجاء في هذا العصر، فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

- وأما **المنهج** الذي اتبعته، فقد اتبعت في هذا البحث المنهج الاستقرائي في استقراء النصوص، بالإضافة إلى المنهج المقارن بين الاستدلالات.

**خطة البحث:** وقد قسمت خطة البحث إلى مقدمة وثلاثة مطالب وخاتمة.

## مقدمة:

**المطلب الأول:** الاختلاف بين الفقهاء والعلماء في الأقوال

\* الكلام عن عودة الضمير على ما قبله، وأنواع هذه العودة مع الأمثلة.

أولاً: قد يعود على كل ما سبق.

ثانياً: وقد يعود فقط على لفظة واحدة بعينها لا تتعدها.

ثالثاً: وقد يعود على ما قبله بالاحتمال والقرائن ترجح المقصود.

عرض نموذج للاختلاف الفقهي بسبب عود الضمير على ما سبقه.

**المطلب الثاني:** اختلاف الصحابة في رؤية الله عز وجل بسبب الاختلاف في عود الضمير: {ولقد رآه نزلة أخرى}.

**المطلب الثالث:** الاختلاف بين العلماء في العقيدة بسبب الاختلاف في عود الضمير (حديث خلق الله آدم على صورته نموذجاً).

أولاً: هناك من رأى أن الضمير في حديث على صورته يمكن أن يعود على كل ما سبق (أي آدم، الولد المضروب، الله عز وجل).

ثانياً: هناك من رأى أن الضمير يعود فقط على الله، وبالتالي اعتبر كل تأويل آخر هو باطل.

ثالثاً: هناك من رأى أن عود الضمير يعود فقط على العبد المضروب أو آدم، ولا يجوز عودته على الله، وبالتالي فمن قال بعودته على الله فقد جانب الصواب ووقع في المحذور.

\* تعقيب على الأقوال الثلاثة السابقة الذكر.

\* الخاتمة.

## المطلب الأول: الاختلاف بين الفقهاء والعلماء في الأقوال

إن من يتتبع كتب التفسير والفقهاء وشروح الحديث والعقيدة، ويتأمل أقوال العلماء والفقهاء، سيرى بأم عينيه كيف أنهم اختلفوا في الأفهام، فتعددت أقوالهم في الآية الواحدة، وتشعبت آراؤهم في فهم الحديث الواحد، ومن أمعن النظر فسيرى أنه من أهم أسباب هذه الظاهرة هو المسائل التي تتعلق باللغة العربية، من حقيقة ومجاز ومشترك ومترادف ومتباين،... وغيرها من مسائل اللغة الكثيرة.

وإننا في هذا البحث سنقدم نموذجاً عن هذا الاختلاف في بعض أمور الاعتقاد، والذي مرده إلى اللغة العربية، وسنأخذ مسألة (عودة الضمير على ما سبقه) مثالاً على ذلك.

### عودة الضمير على ما قبله:

يعود الضمير عادة على ما قبله، ولا يعود على ما بعده إلا في أقوال بعض النحاة، والضمير في عودته على ما قبله له عدة أحوال أهمها:

أولاً. قد يعود على كل ما سبق.

ثانياً. وقد يعود فقط على لفظة واحدة بعينها لا تتعدها.

ثالثاً. وقد يعود على ما قبله بالاحتمال، والقرائن ترجح المقصود.

### الحالة الأولى: عود الضمير على كل ما سبقه:

وهذه الحالة تكون لمعنى بلاغي غالباً، فمثلاً قال الله تعالى: { أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ (6) إِرْمَ دَاتِ الْعِمَادِ (7) الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ }. [الفجر: 6 - 8]

فالضمير في كلمة مثلها يعود على:

1- قبيلة عاد

2- مدينة إرم

3- العماد

قال الفخر الرازي: الضمير في مثلها إلى ماذا يعود؟

فيه وجوه: الأول: { لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا } أي مثل عاد في البلاد في عظم الجثة وشدة القوة.

الثاني: لم يخلق مثل مدينة شداد في جميع بلاد الدنيا.

الثالث: أن الكناية عائدة إلى العماد، أي لم يخلق مثل تلك الأساطين في البلاد. (1).

(1) مفاتيح الغيب = التفسير الكبير، (ص: 4743)، المؤلف: أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (المتوفى: 606هـ)، الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت، الطبعة: الثالثة - 1420 هـ.

وعودة الضمير على هذه الثلاثة ليبين أن هؤلاء القوم لم يكن لهم نظير في عظم الجثة والقوة، فبنوا مدينة عظيمة تتناسب وقوتهم وعظمة جثثهم،

ومن الطبيعي أن تكون العماد التي استندت عليها هذه المدينة ليس لها نظير أيضاً، فانظر كيف أنه شمل الثلاثة دون حاجة إلى تكرار ذكر أي واحد منهم، وقديماً قالوا: "البلاغة الإيجاز".<sup>(2)</sup>

\* ومثاله أيضاً قوله تعالى قوله: { رَفَعِ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا } [الرعد: 2]، فالضمير في كلمة ترونها يمكن أن يعود على كلمة السماوات، كما يمكن أن يعود على كلمة عمد.

قال الشيخ الشعراوي رحمه الله تعالى:

هنا نجد مرجعين: السماء والعمد، فعلى أي منهما تعود الهاء الموجودة في كلمة ترونها؟ هل تعود الهاء إلى المرجع الأول وهو السنوات، أو للمرجع الثاني وهو العمد؟ يصح أن تعود الهاء إلى السماوات، أي خلق السماوات مرتفعة قائمة بقدرته لا تستند على شيء وأنتم تنظرون إليها وتشاهدونها بغير دعائم، ويصح أيضاً أن تعود إلى العمد، أي بغير العمد التي نعرفها ولكن رفعها الحق بقوانين الجاذبية، أو رفع السماوات {بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا} أي أن العمد مختلفة عن رؤية البشر؛ وهكذا يصح أن ينسب الضمير ويعود إلى أحد المرجعين.<sup>(3)</sup>

#### الحالة الثانية: عود الضمير على لفظة واحدة بعينها لا تتعداها:

مثاله من الكتاب قوله تعالى: { إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا } (8) لِيُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا. [الفتح: 8، 9]

(2) (هو من قول حكيم العرب في الجاهلية أكتم بن صيفي في خطبة خطبها بين يدي كسرى، عندما أوفده النعمان بن المنذر مع عدة من رجالات العرب وذلك عندما أراد كسرى أن يتخذ بعض العرب خدماً وعبداً، فأراد النعمان بن المنذر أن يرى كسرى "أن العرب على غير ما ظن أو حدثته نفسه") وانظر القصة كاملة مع خطبة أكتم بن صيفي كاملة في: كتاب التذكرة الحمدونية (2/ 422) المؤلف: ابن حمدون، مصدر الكتاب: موقع الوراق

<http://www.alwarraq.com>

وفي العقد الفريد (1/ 97) المؤلف: ابن عبد ربه الأندلسي مصدر الكتاب: موقع الوراق

<http://www.alwarraq.com>

(3) تفسير الشعراوي (ص: 1937)، المؤلف محمد متولي الشعراوي (المتوفى: 1418هـ)، مصدر الكتاب: المكتبة الشاملة الإصدار الثاني، المؤلف: محمد متولي الشعراوي، الناشر: مطابع أخبار اليوم، عدد الأجزاء: 20، و(ليس على الكتاب الأصل - المطبوع - أي بيانات عن رقم الطبعة أو غيره، غير أن رقم الإيداع يوضح أنه نشر عام 1997 م)

فالضمير في تسبحوه يعود على لفظ الجلالة الله حصراً، ولا يجوز أن يعود على النبي عليه الصلاة والسلام، بخلاف الضمير في كلمتي (تعزروه، توقروه) فهو من باب المشترك، أي يمكن أن يعود على لفظ الجلالة الله، ويمكن أن يعود على كلمة رسوله (4).

\*- ومثاله من السنة: عن أبي جريّ جابر بن سليم، قال: رأيت رجلاً يصدرُ الناسُ عن رأيه، لا يقولُ شيئاً إلا صدرُوا عنه، قلتُ: مَنْ هذا؟ قالوا: رسولُ الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -، قال: قلتُ: عليكِ السلامُ يا رسولَ الله - مرتين - قال: "لا تَقُلْ عَلَيْكَ السَّلَامُ، فَإِنَّ عَلَيْكَ السَّلَامُ تَحِيَّةَ الْمَيِّتِ، قُلِ: السَّلَامُ عَلَيْكَ" قال: قلتُ: أنتَ رسولُ الله؟ قال: "أنا رسولُ الله الذي إذا أصابَكَ ضُرٌّ فدعوته كشفهُ عنكَ، وإن أصابَكَ عامٌ فدعوته أنبَتْها لك، وإذا كُنْتَ بأَرْضٍ قَفْرٍ أو فلاةٍ، فضَلَّتْ راجِلُكَ فدعوته رَدَّها عليك" (5).

ففي قوله عليه الصلاة والسلام: "أنا رسولُ الله الذي إذا أصابَكَ ضُرٌّ فدعوته كشفهُ عنكَ، وإن أصابَكَ عامٌ سنةً فدعوته أنبَتْها لك، وإذا كُنْتَ بأَرْضٍ قَفْرٍ أو فلاةٍ، فضَلَّتْ راجِلُكَ فدعوته رَدَّها عليك".

الضمير في هذه الأفعال (فدعوته كشفهُ، فدعوته أنبَتْها، فدعوته رَدَّها) يعود فقط على الله عز وجل من قوله: أنا رسولُ الله، ولا يمكن بحال أن يعود على النبي عليه الصلاة والسلام، لأنك لا تدعو الرسول عليه الصلاة والسلام بل تدعو الله عز وجل، ولأن الله عز وجل هو الذي يكشف عنك الضرّ، وهو الذي ينبت النباتات، وهو الذي يردّ شالة الإبل.

لذلك فمن المحال عودة الضمير على لفظة رسول، وإنما يعود الضمير حصراً على لفظ الجلالة: الله.

\*- الحالة الثالثة: أن يعود الضمير على جميع ما قبله بالاحتمال، ولكن القرائن هي التي ترجح المقصود من عودة الضمير عليه، وهذا أمثلته كثيرة جداً.

\*- فمن أمثلته قوله تعالى: {أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالسَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ}. [البقرة: 258]

(4) الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي (16/ 267)، المؤلف: أبو عبد الله محمد بن أحمد بن بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (المتوفى: 671هـ)، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، الناشر: دار الكتب المصرية - القاهرة، الطبعة: الثانية، 1384هـ - 1964م

(5) إسناده صحيح، سنن أبي داود (6/ 181) تصنيف الإمام الحافظ أبي داود سليمان بن الأشعث الأزدي السجستاني 202 هـ - 275 هـ، حَقَّقَهُ وَضَبَطَ نَصَّهُ وَخَرَجَ أَحَادِيثَهُ وَعَلَّقَ عَلَيْهِ، شَعِيبُ الأرنؤوط ومحمد كامل قره بللي، دار الرسالة العالمية.

فقوله تعالى { أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ } يحتمل أن يعود الضمير في كلمة آتاه إلى إبراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام، ويحتمل أن يعود الضمير إلى الذي حاج إبراهيم، (واسمه كما قيل: النمرود أو النمرود).<sup>(6)</sup>

وهناك قرآن لكلا الاحتمالين، ولكن القرآن التي تجعله يعود على الملك النمرود أقوى، فمن القرآن التي حمل بعضهم عودة الضمير في آتاه على إبراهيم، أمور:

1- قوله تعالى: { فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُمْ مُلْكَاً عَظِيماً } [النساء: 54] حيث قال: { آتيناهم ملكاً }، فالمقصود ب { آتاه الله الملك } هو إبراهيم.

2- أن عود الضمير إلى أقرب المذكورين واجب، وإبراهيم هو أقرب المذكورين إلى هذا الضمير، فوجب أن يكون هذا الضمير عائداً إليه!

وأما القول الثاني وهو الراجح والأصح، وهو قول جمهور المفسرين: أن الضمير عائد إلى ذلك الإنسان الذي حاج إبراهيم.

وأجابوا عن الحجة الأولى بأن هذه الآية دالة على حصول الملك لآل إبراهيم، وليس فيها دلالة على حصول الملك لإبراهيم عليه السلام.

وعن الحجة الثانية بأن إبراهيم عليه السلام وإن كان أقرب المذكورين إلا أن الروايات الكثيرة واردة بأن الذي حاج إبراهيم كان هو الملك فعود الضمير إليه أولى من هذه الجهة.<sup>(7)</sup>

وليس هاهنا مجال بسط النقاش واستعراض الأدلة على قوة الأدلة وقوة القرآن التي تدل بشكل شبه قاطع أن الضمير في آتاه يعود على الملك النمرود، فقد اتفق عامة المفسرين على ذلك<sup>(8)</sup>، كما سبق وأن نقله الفخر الرازي، وهو أمر شبه بديهي، وإنما سقنا المثال لترى كيف أن الضمير قد يعود على جميع ما قبله بالاحتمال، ولكن القرآن الأخرى هي التي ترجح عودته على كلمة دون سواها.

**فائدة:** كثير من عوام الناس يستخدمون هذا الأمر من باب الدعابة والمزاح والألغاز، فهم يقولون مثلاً: في البلد الفلاني والقرية الفلانية إذا سافر أحدهم فإن المختار ينام عند زوجته، فيظن السامع أن الضمير في كلمة زوجته تعود على المسافر، وهذا مجرد توهم، فالضمير في كلمة زوجته يعود على المختار.

(6) جامع البيان في تأويل القرآن (5/ 433)، المؤلف: محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الأملي، أبو جعفر الطبري، [224- 310 هـ] المحقق: أحمد محمد شاكر، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، 1420 هـ - 2000 م، مصدر الكتاب: موقع مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف [www.qurancomplex.com](http://www.qurancomplex.com)

(7) مفاتيح الغيب = التفسير الكبير، (ص: 997)، المؤلف: أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (المتوفى: 606 هـ)، الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت، الطبعة: الثالثة - 1420 هـ

(8) انظر مثلاً تفسير الطبري (5/ 435)، وتفسير القرطبي (3/ 271) وتفسير ابن كثير (1/ 686) الكشاف (1/ 229)

ومنها اللغز الظريف المتداول على النت بشدة، (ضرب الرجل ابنه لأنه كان سكران)، فالضمير المستتر في الفعل كان يحتمل أن يعود على الولد، أي أن الأب ضرب ابنه لأن ابنه كان سكران، كما يحتمل أن يعود الضمير في الفعل كان على الأب فيكون المعنى: إن الأب ضرب ابنه، لأن الأب كان سكران لا يعي ما يفعل، (فمن الذي كان سكران؟ الولد أم الابن؟) فهنا لا يمكن الترجيح بأي قرينة لا عقلية، ولا حالية، ولا غيرها.

### مثال فقهي على الاختلاف في عودة الضمير:

قال الله عز وجل: {وَإِنْ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمْسُوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ إِلَّا أَنْ يَعْفُونَ أَوْ يَعْفُوَ الَّذِي بِيَدِهِ عُقْدَةُ النِّكَاحِ}. [البقرة: 237]

والفقهاء منذ عصر الصحابة فمن بعدهم اختلفوا في عود الضمير في كلمة "بيده"، فهل المقصود به الزوج؟ أم المقصود به ولي الأمر؟

فالزوج بيده عقدة النكاح لأنه يملك أن يطلق زوجته، وبالتالي فهو إرشاد أن يعفو الزوج عن المهر أو عن جزء منه إذا طلق قبل الدخول.

والولي كذلك بيده عقدة النكاح، ففي الحديث عن ابن عباس عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: "لا نكاح إلا بولي، والسلطان ولي من لا ولي له"<sup>(9)</sup>.

قال أبو جعفر الطبري: اختلف أهل التأويل فيمن عنى الله تعالى ذكره بقوله: "الذي بيده عقدة النكاح".

- فقال بعضهم: هو ولي البكر. وقالوا: ومعنى الآية أو يترك الذي يلي على المرأة عقد نكاحها من أوليائها، للزوج النصف الذي وجب للمطلقة عليه قبل مسيسه فيصفر له عنه، إن كانت الجارية ممن لا يجوز لها أمر في مالها.

وقال ابن عباس رضي الله عنه: هو أبو الجارية البكر، جعل الله سبحانه العفو إليه، ليس لها معه أمر إذا طلقت، ما كانت في حجره، وهو مروى عن علقمة وعكرمة.

- وقال آخرون: بل الذي بيده عقدة النكاح، الزوج. قالوا: ومعنى ذلك: أو يعفو الذي بيده نكاح المرأة فيعطيها الصداق كاملاً، فعن علي رضي الله عنه قال: الذي بيده عقدة النكاح، الزوج، وكذلك قال سعيد بن المسيب والقاضي شريح ومجاهد: هو الزوج.

<sup>9</sup> إسناده صحيح، مسند الإمام أحمد بن حنبل (3/ 38)، المؤلف: أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (المتوفى: 241هـ)، المحقق: أحمد محمد شاكر، الناشر: دار الحديث - القاهرة، الطبعة: الأولى، 1416 هـ - 1995 م

وهذا الرأي رجحه الطبري نفسه، حيث قال أبو جعفر: وأولى القولين في ذلك بالصواب قول من قال: المعني بقوله: "الذي بيده عقدة النكاح"، الزوج. (10)

وهذا الاختلاف انتقل فيما بعد إلى العلماء من بعد، فقد ذهب الشافعي وأبو حنيفة أن المقصود بالآية هو الزوج، بينما ذهب بعض العلماء على أن المقصود به هو الولي، وهو المنقول عن إبراهيم وعلقمة والحسن البصري وطاووس وعطاء وأبي الزناد وزيد بن أسلم وربيعة ومحمد بن كعب وابن شهاب والأسود بن يزيد والشعبي وقتادة ومالك والشافعي في القديم. (11)

### المطلب الثاني:

#### اختلاف الصحابة في رؤية الله عز وجل بسبب الاختلاف في عود الضمير: {ولقد رآه نزلة أخرى}.

لا خلاف بين المسلمين في أركان الإيمان، بل لا يجوز الخلاف فيها فكل واحد منهما هو حد بذاته بين الإيمان والكفر، وهذه الأركان هي التي جاءت في حديث جبريل الطويل، «أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسوله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره». (12)

وأما الخلاف في بعض مسائل العقيدة فما زال السلف يختلفون في بعضها منذ عهد الصحابة حتى يومنا هذا، ولا يعيب بعضهم على بعض، ولا يكفر بعضهم بعضاً، ولا يخرج بعضهم بعضاً من الملة.

ومن المسائل التي اختلف فيها الصحابة والتي هي من صلب بحثنا هو: هل رأى النبي عليه الصلاة والسلام ربه ليلة الإسراء والمعراج أم لا؟

ومن أحد أسباب الخلاف هو فهم قوله تعالى: {أَفْتَمَارُؤُهُ عَلَى مَا يَرَى (12) وَلَقَدْ رَأَهُ نَزْلَةً أُخْرَى} [النجم: 12، 13]

فالضمير في قوله {ولقد رآه} يحتمل العودة إلى الله عز وجل، كما يحتمل العودة على جبريل!

(10) جامع البيان في تأويل القرآن (5/ 146)، المؤلف: محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الأملي، أبو جعفر الطبري، [224 - 310 هـ]، المحقق: أحمد محمد شاكر، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، 1420 هـ - 2000 م، مصدر الكتاب: موقع مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف [www.qurancomplex.com](http://www.qurancomplex.com)

(11) الجامع لأحكام القرآن (3/ 207) المؤلف: أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (المتوفى: 671 هـ)، المحقق: هشام سمير البخاري، الناشر: دار عالم الكتب، الرياض، المملكة العربية السعودية، الطبعة: 1423 هـ / 2003 م، المصدر: الشاملة الذهبية

(12) الكتاب: الجامع الصحيح المسمى صحيح مسلم (1/ 28)، المؤلف: أبو الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري، الناشر: دار الجيل بيروت + دار الأفق الجديدة - بيروت

- فأما ابن عباس رضي الله عنه فقد أعاد الضمير إلى الله عز وجل، حيث ثبت عنه أنه قال أن النبي عليه الصلاة والسلام رأى ربه بقلبه، "عن عطاء عن ابن عباس قال رآه بقلبه". (13).

- وقد وردت روايات أخرى مختلف في صحتها عن ابن عباس رضي الله عنه، يقول فيها عن النبي عليه الصلاة والسلام رأى ربه بعيني رأسه.

- وأما عائشة رضي الله عنها فقد نفت بشكل مطلق عودة الضمير على الله عز وجل، وأعدت الضمير على النبي عليه الصلاة والسلام، وقد نفت بشكل مطلق أن يكون النبي عليه الصلاة والسلام رأى ربه، فعن مسروق قال كنت متكئا عند عائشة فقالت يا أبا عائشة ثلاث من تكلم بواحدة منهن فقد أعظم على الله الفرية. قلت ما هن قالت من زعم أن محمداً -صلى الله عليه وسلم- رأى ربه فقد أعظم على الله الفرية. قال وكنت متكئا فجلست فقلت يا أم المؤمنين أنظريني ولا تعجليني ألم يقل الله عز وجل: {ولقد رآه بالأفق المبين}، {ولقد رآه نزلة أخرى}، فقالت أنا أول هذه الأمة سأل عن ذلك رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فقال: «إنما هو جبريل لم أره على صورته التي خلق عليها غير هاتين المرتين رأيتُه منهبطاً من السماء سادا عظم خلقه ما بين السماء إلى الأرض». فقالت أولم تسمع أن الله يقول: {لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير} أولم تسمع أن الله يقول {وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحيا أو من وراء حجاب أو يرسل رسولا فيوحي بإذنه ما يشاء إنه علي حكيم}.

وفي رواية عن مسروق قال سألت عائشة "هل رأى محمد -صلى الله عليه وسلم- ربه؟" فقالت سبحان الله لقد قف شعري لما قلت، وساق الحديث بقصته. (14)

وهذا الخلاف بين الصحابة في مسألة رؤية النبي عليه الصلاة والسلام لربه، قد بقي فيما بعد، ولا يزال حتى هذه اللحظة بين المسلمين، فهناك من يثبته وهناك من ينفيه.

وقد استفاض القاضي عياض رحمه الله تعالى في ذكر حجج كلا الفريقين استفاضة طويلة، ناقش فيها حجج كلا الفريقين، وفي النهاية لم يرجح أي رأي، وترك الأمر معلقاً، فقال في ختام البحث: "فإن ورد حديث نص بين في الباب اعتقد ووجب المصير إليه إذ لا استحالة فيه ولا مانع قطعي يردده والله الموفق للصواب" (15).

و في شرحه على مسلم نقل النووي كلام القاضي عياض بطوله، ولكنه لم يوافق على ما ذهب إليه القاضي عياض من تعليق الأمر دون ترجيح، بل وجدنا النووي يرجح الرؤية، ليس القلبية فقط بل البصرية، والغريب أنه قال أن هذا رأي أكثر العلماء، حيث قال: (الحاصل أن الراجح عند أكثر العلماء أن رسول الله صلى الله

(13) صحيح مسلم (1/ 109)

(14) صحيح مسلم (1/ 110)

(15) الشفا بتعريف حقوق المصطفى (1/ 202) للعلامة القاضي أبي الفضل عياض اليحصبي 544 هـ، مذيلاً بالحاشية المسماة مزيل الخفاء عن أفاظ الشفاء، للعلامة أحمد بن محمد بن محمد الشمني 873 هـ، الطبعة الأولى، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، 1409 هـ - 1988 م، بيروت لبنان

عليه و سلم رأى ربه بعيني رأسه ليلة الاسراء لحديث بن عباس وغيره مما تقدم واثبات هذا لا يأخذونه إلا بالسماع من رسول الله صلى الله عليه و سلم). (16)

وذلك رغم أنه نقل قول القاضي عياض (اختلف السلف والخلف هل رأى نبينا صلى الله عليه وسلم ربه ليلة الاسراء) (17).

وعلى كل حال فليس من مادة البحث مناقشة أقوال كلا الطرفين وترجيح الرأي الذي نراه أقوى، وإنما سقنا المثال للدلالة على أن الاختلاف في فروعات العقيدة موجود منذ زمن الصحابة، وأن الخلاف في المسألة سببه في أحد الوجوه هو عودة الضمير في قوله تعالى: { أَفْتَمَارُونَهُ عَلَى مَا يُرَى (12) وَلَقَدْ رَأَهُ نَزْلَةً أُخْرَى } [النجم: 12، 13]، والتردد بين كونه يعود على الله عز وجل، وبين كونه يعود على جبريل.

### المطلب الثالث:

#### الاختلاف بين العلماء في العقيدة بسبب الاختلاف في عودة الضمير

#### (حديث خلق الله آدم على صورته نموذجاً)

هذا الحديث بهذا اللفظ له عدة روايات، منها:

1- عن أبي هريرة: عن النبي صلى الله عليه وسلم قال (خلق الله آدم على صورته طوله ستون ذراعاً فلما خلقه قال اذهب فسلم على أولئك نفر من الملائكة جلوس فاستمع ما يحيونك فإنها تحيتك وتحية ذريتك فقال السلام عليكم فقالوا السلام عليك ورحمة الله فزادوه ورحمة الله فكل من يدخل الجنة على صورة آدم فلم يزل الخلق ينقص بعد حتى الآن). (18)

2- عن أبي هريرة عن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال « إذا قاتل أحدكم أخاه فليجتنب الوجه فإن الله خلق آدم على صورته » (19).

(16) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج = شرح النووي على مسلم (5/3)، المؤلف: أبو زكريا يحيى بن شرف بن

مري النووي، الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت، الطبعة الثانية، 1392

(17) المرجع السابق (4/3)

(18) صحيح البخاري = الجامع الصحيح المختصر (5/2299)، المؤلف: محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي،

الناشر: دار ابن كثير، اليمامة - بيروت، الطبعة الثالثة، 1407 - 1987، تحقيق: د. مصطفى ديب البغا أستاذ الحديث

وعلومه في كلية الشريعة - جامعة دمشق

(19) صحيح مسلم (8/32)

3- عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "لا يقولن أحدكم: قبح الله وجهك ووجه من أشبه وجهك فإن الله خلق آدم على صورته"<sup>(20)</sup>

ومن أهم أسباب الخلاف في الحديث هو الضمير في كلمة (صورته)، على من يعود؟

هل يعود على آدم عليه الصلاة والسلام؟

أم يعود على المضروب؟

أم يعود على الله عز وجل؟

وسنذكر تفصيلات هذه الاحتمالات الثلاث، وسنذكر الأدلة التي استندوا عليها في حمل الضمير على كل واحد منها، ثم نذكر تبعات كل رأي، ولماذا قالوه، وهل هو فعلاً اتباع للهوى وزيف وضلال كما يزعم البعض؟ أم هو لأجل تنزيه الله سبحانه وتعالى عن الشبه بالمخلوقات وللرد على الطاعنين في دين الله تعالى؟

ثم سنبين بعد ذلك لماذا تم الاختلاف بسبب اللغة.

#### أولاً: عودة الضمير على آدم عليه الصلاة والسلام:

هناك علماء كثيرون قالوا: إن الضمير في (صورته) يعود على آدم عليه الصلاة والسلام، ويكون معنى الكلام على جهتين:

#### \*- الجهة الأولى التي تختص بأحوال آدم الجسدية والجسمية:

قال الخطابي: "أنه خلقه بشرا سويا على صورته تلك لم تشتمل عليه الأرحام ولم تتناقله الأحوال من صغر إلى كبر ومن نقص إلى تمام"<sup>(21)</sup>.

- وعن أبي عبد الله أحمد بن عطاء، وسئل عن معنى قول النبي صلى الله عليه وسلم: "إن الله خلق آدم على صورته"، فقال: إن الله جل ثناؤه خلق الخلق مرتبة بعد مرتبة ونقله من حال إلى حال كما قال تعالى: {ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين ثم جعلناه نطفة في قرار مكين} إلى قوله: {فتبارك الله أحسن الخالقين}،

<sup>(20)</sup> قال شعيب الأرنؤوط: إسناده حسن، الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان (18 / 13)، المؤلف: محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن معبد، التميمي، أبو حاتم، الدارمي، البستي (المتوفى: 354هـ)، ترتيب: الأمير علاء الدين علي بن بلبان الفارسي (المتوفى: 739 هـ)، حققه وخرج أحاديثه وعلق عليه: شعيب الأرنؤوط، الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة: الأولى، 1408 هـ - 1988

<sup>(21)</sup> غريب الحديث للخطابي (2 / 158) المؤلف: حمد بن محمد بن إبراهيم الخطابي البستي أبو سليمان، الناشر: جامعة أم القرى - مكة المكرمة، 1402، تحقيق: عبد الكريم إبراهيم العزبوي

وخلق آدم بلا انتقال من حال إلى حال، وإنما خلق صورته كما هي، ثم نفخ فيه من روحه؛ فلأجله قال النبي صلى الله عليه وسلم إن الله تعالى خلق آدم على صورته. (22)

- وقال ابن حبان: خَلَقَ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا آدَمَ عَلَى صُورَتِهِ الَّتِي خَلَقَهُ عَلَيْهَا، وَطَوَّلَهُ سِتُونَ ذِرَاعًا مِنْ غَيْرِ أَنْ تَكُونَ نَقْدُمُهُ اجْتِمَاعُ الذَّكْرِ وَالْأُنثَى، أَوْ زَوَالِ الْمَاءِ، أَوْ فَرَارُهُ، أَوْ تَغْيِيرِ الْمَاءِ عِلْقَةً أَوْ مُضْغَةً، أَوْ تَجْسِيمُهُ بَعْدَهُ، فَأَبَانَ اللَّهُ بِهِذَا فَضْلَهُ عَلَى سَائِرِ مَنْ ذَكَرْنَا مِنْ خَلْقِهِ، بِأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ نُطْفَةً فَعَلْقَةً، وَلَا عِلْقَةً فَمُضْغَةً، وَلَا مُضْغَةً فَرَضِيغًا، وَلَا رَضِيغًا فَفَطِيمًا، وَلَا فَطِيمًا فَشَابًا كَمَا كَانَتْ هَذِهِ حَالَهُ غَيْرِهِ. (23)

#### \*- الجهة الثانية المتعلقة بأحوال آدم النفسية:

"يجوز أن يكون معنى صورته: أي صورة حاله، وأن يكون متفاوت الحال متغاير الوصف، فيوصف مرة بالغوية، ومرة بالهداية، وبالعصيان والتوبة. قال الله تعالى: {وعصى آدم ربه فغوى ثم اجتبه ربه فتاب عليه وهدى} [البقرة: 121 - 122] ووصفه بالعلم مرة، وبالجهل أخرى فقال: {وعلم آدم الأسماء كلها} [البقرة: 31]، وقال: {وحملها الإنسان إنه كان ظلوما جهولا} [الأحزاب: 72]. وهذا إلى سائر أحواله في تباينها، وأوصافه في تغايرها، ثم ما أكرمه به من فضله واختصه، واصطفاه، واستخلصه، واجتبه، وكان خليفته في أرضه وقبلة ملائكته، وقسيم أهل ناره وجنته، علمه الأسماء، وألهمه الحمد والثناء، فكان خلقه عز وجل بهذه الأوصاف، وعلى صورة هذه الأحوال، وهذا كما قال الله تعالى: {ولا يزالون مختلفين إلا من رحم ربك} [هود: 118-119]، ولذلك قيل خلقهم ليكونوا مختلفين. وقال جل جلاله: {وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون} [الذاريات: 56]. فلذلك خلق الله تعالى آدم ليكون على هذه الأوصاف، وما لا يحصى من الحكمة فيه.

فكان معنى قوله: خلق آدم على صورته، أي: خلقه ليكون صورة حاله هذه الصورة وخلق سائر الخلائق على حالة واحدة، خلق الله الملائكة للطاعة لا غير، والشياطين للعصيان لا غير، والبهائم وسائر الحيوان للتسخير لا غير". (24)

(22) تاريخ مدينة دمشق (5/ 19) تاريخ مدينة دمشق وذكر فضلها وتسمية من حلها من الأماثل أو اجتاز بنواحيها من أرواها وأهلها، المؤلف أبو القاسم علي بن الحسن ابن هبة الله بن عبد الله الشافعي المعروف بابن عساكر، سنة الولادة 499/ سنة الوفاة 571، تحقيق محب الدين أبي سعيد عمر بن غرامة العمري، الناشر دار الفكر، سنة النشر 1995، مكان النشر بيروت

(23) الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان (14/ 35)

(24) بحر الفوائد المشهور بمعاني الأخبار (ص: 78) المؤلف: أبو بكر محمد بن أبي إسحاق إبراهيم بن يعقوب الكلابي البخاري، سنة الوفاة 384 هـ، تحقيق محمد حسن محمد حسن إسماعيل - أحمد فريد المزدي، الناشر دار الكتب العلمية، سنة النشر 1420 هـ - 1999م، مكان النشر بيروت / لبنان

القرينة التي استدلوا عليها في هذا القول: هناك عدة قرائن استندوا إليها في صرف الضمير إلى آدم عليه الصلاة والسلام.

القرينة الأولى هي تنزيه الله تعالى عن أن يشبه أحداً من خلقه، والقرينة الثانية هي سياق بعض روايات الحديث، والقرينة الثالثة أنه أقرب مذكور.

\*- فأما القرينة الأولى، فهي تنزيه الله تعالى عن أن يشبه أحداً من خلقه، قال ابن حبان: وَالْهَاءُ رَاجِعَةٌ إِلَى آدَمَ، وَالْقَائِدَةُ مِنْ رُجُوعِ الْهَاءِ إِلَى آدَمَ دُونَ إِصْافَتِهَا إِلَى الْبَارِي جَلَّ وَعَلَا - جَلَّ رَبُّنَا وَتَعَالَى عَنْ أَنْ يُشَبَّهَ بِشَيْءٍ مِنَ الْمَخْلُوقِينَ - أَنَّهُ جَلَّ وَعَلَا جَعَلَ سَبَبَ الْخَلْقِ الَّذِي هُوَ الْمُتَحَرِّكُ النَّامِي بِدَاتِهِ اجْتِمَاعَ الذَّكْرِ وَالْأُنْثَى. (25)

والى هذا القول أشار الشيخ الألباني- رحمه الله تعالى- في السلسلة الصحيحة حيث قال: "قلت: وقد فصل القول في ذلك ابن حبان عقب الحديث فراجعه فإنه مفيد". (26)

\*- وأما القرينة الثانية: سياق بعض روايات الحديث، وهذه أقوى قرينة لصرف عودة الضمير على آدم، فقد سبق وذكرنا قوله عليه الصلاة والسلام: (خلق الله آدم على صورته طوله ستون ذراعاً فلما خلقه قال اذهب فسلم على أولئك نفر من الملائكة جلوس فاستمع ما يحيونك فإنها تحيتك وتحية ذريتك فقال السلام عليكم فقالوا السلام عليك ورحمة الله فزادوه ورحمة الله فكل من يدخل الجنة على صورة آدم فلم يزل الخلق ينقص بعد حتى الآن). (27)

فقوله صلى الله عليه و سلم: (خلق الله آدم على صورته طوله ستون ذراعاً) ، هذه الرواية ظاهرة في أن الضمير في صورته عائد إلى آدم وأن المراد أنه خلق في أول نشأته على صورته التي كان عليها في الأرض وتوفى عليها وهي طوله ستون ذراعاً ولم ينتقل أطواراً كذريته، وكانت صورته في الجنة هي صورته في الأرض لم تتغير. (28)

"وهذه الرواية تؤيد قول من قال أن الضمير لآدم، والمعنى أن الله تعالى أوجده على الهيئة التي خلقه عليها لم ينتقل في النشأة أحوالاً، ولا تردد في الأرحام أطواراً كذريته، بل خلقه الله رجلاً كاملاً سوياً من أول ما نفخ فيه الروح" وهذا القول الوارد في فتح الباري نقله الشيخ الألباني- رحمه الله تعالى- في السلسلة الصحيحة مستدلاً به على ذات المعنى من أن الضمير في صورته يعود على آدم. (29)

(25) الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان (14/ 34)

(26) السلسلة الصحيحة الكاملة (1/ 448) لمؤلف: محمد ناصر الدين الألباني، مصدر الكتاب: المكتبة الشاملة

(27) صحيح البخاري (5/ 2299)،

(28) شرح النووي على مسلم (17/ 178)

(29) السلسلة الصحيحة (1/ 810) المؤلف: محمد ناصر الدين الألباني، الناشر: مكتبة المعارف -الرياض

\*- وأما القرينة الثالثة أنه أقرب مذکور، قوله: "خلق الله آدم على صورته" أي صورة آدم لأن هذا الضمير عائد على أقرب مذکور. (30)

### - فائدة هذا التفسير:

العلماء الذين اعتبروا الضمير يعود على آدم لم يعتبروا ذلك اتباعاً للهوى معاذ الله، ولا تعطيلاً لصفة من صفات الله عز وجل، وإنما تنزيهاً لله عز وجل عن أن يشابه شيئاً من مخلوقاته، وجمعاً بين الأدلة وفق ما تقتضيه اللغة العربية.

وبناء على هذا التأويل فإنهم ذكروا فوائد كثيرة لكون الضمير يعود على آدم، منها:

1- في هذا التأويل الرد على الدهرية، الذين زعموا أنه "لا يوجد إنسان أول مخلوق من دون أبوين، وأنه لم يكن إنسان مطلقاً إلا من نطفة، وأنه لم يكن إنسان إلا من إنسان"، فالحديث يردّ على زعمهم الباطل هذا، ويبيّن أن الله تعالى خلق آدم من دون أبوين، فخلقه على هذا الشكل وهذه الصورة، دون المرور بمرحلة النطفة والجنين والطفولة والرضاع والشباب، (31)

2- الرد على الطبايعيين الذين يزعمون أن الإنسان يكون من فعل الطبع وتأثيره. (32)

3- الرد على القدرية الذين زعموا أن الإنسان يخلق أفعاله، (33) أي أن قالت القدرية إن الإنسان يخلق أفعاله، ونفوا أن يكون الله تعالى يعلم ما سيكون، وأن الأمر أنف (34) كما زعموا، فجاء هذا الوجه من حمل الحديث في

(30) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم (7/ 183) المؤلف: أبو العباس أحمد بن عمر بن إبراهيم القرطبي (578 - 656 هـ) حققه وعلق عليه وقدم له: محيي الدين ديب ميسنو - أحمد محمد السيد - يوسف علي بديوي - محمود إبراهيم بزال الناشر: (دار ابن كثير، دمشق - بيروت)، (دار الكلم الطيب، دمشق - بيروت) الطبعة: الأولى، 1417 هـ - 1996 م،

وكذلك: الكواكب الدراري في شرح صحيح البخاري (22/ 72) المؤلف: محمد بن يوسف بن علي بن سعيد، شمس الدين الكرمانى (المتوفى: 786هـ)، الناشر: دار إحياء التراث العربى، بيروت-لبنان، الطبعة الثانية: 1401هـ - 1981م وكذلك: عمدة القاري شرح صحيح البخاري (32/ 446)، المؤلف: بدر الدين العيني الحنفى، مصدر الكتاب: ملفات وورد من ملتقى أهل الحديث <http://www.ahlalhdeth.com>

(31) فتح الباري - ابن حجر (3 / 11)

(32) فتح الباري - ابن حجر (6 / 366)، (3 / 11)

(33) فتح الباري - ابن حجر (3 / 11)

(34) جاء في صحيح مسلم (1/ 28): عن يحيى بن يعمر قال كان أول من قال فى القدر بالبصرة معبد الجهني فانطلقت أنا وحميد بن عبد الرحمن الحميري حاجين أو معتمرين فقلنا لو قلنا أحدا من أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فسألناه عما يقول هؤلاء فى القدر فوفق لنا عبد الله بن عمر بن الخطاب داخلا المسجد فاكتنفته أنا وصاحبي أحدنا عن يمينه والآخر عن شماله فظننت أن صاحبي سيكل الكلام إلى قلقت أبا عبد الرحمن إنه قد ظهر قبلنا ناس يقرءون القرآن ويتفقرون العلم - وذكر من شأنهم - وأنهم يزعمون أن لا قدر وأن الأمر أنف. قال فإذا لقيت أولئك فأخبرهم أنى برىء منهم وأنهم برء منى والذى يحلف به عبد الله بن عمر لو أن لأحدهم مثل أحد ذهباً فأنفقه ما قبل الله منه حتى يؤمن بالقدر،

رجوع الهاء إلى آدم موافقاً لأصول أهل السنة، أن الله خلق السعيد سعيداً والشقي شقيماً، فخلق آدم وقد علم أنه يعصيه ويخالف أمره، وسبق العلم بذلك وأنه يعصى ثم يتوب، فيتوب الله عليه تنبيهاً على وجوب جريان قضاء الله على خلقه، وأنه إنما تحدث الأمور وتتغير الأحوال على حسب ما يخلق عليه المرء ويبسر له. (35)

4- دفعا لتوهم من يظن أن آدم لما كان في الجنة كان على صفة أخرى وأنه كان على شكل مختلف عن شكله الذي هو في الأرض. (36)

5- التنبيه على اختراع عظيم في خلقه، إذ كل مخلوق قد تقدم له أمثال، فيُخلَقون على صورة أمثالهم المتقدمة، وأما آدم فاخترع خلقاً جديداً عجيباً، ملكي الروح، حيواني الجسم، منتصب القامة، فلم يُوجد على مثال له تقدم. كأنه قال: ارتجل صورته اختراعاً لا تشبيهاً لمقدم، ولا محاذياً لخلق آخر لشيء له يشبهه، بل تولى الله بنفسه خلق هذا الصورة إبداعاً جديداً، وخلقاً عجيباً، لم يسبقه ما يشبهه بصورة ما. (37)

#### ثانياً: عود الضمير على المضروب

قسم من العلماء قال إن الضمير في كلمة صورته، من قوله عليه الصلاة والسلام: (خلق الله آدم على صورته) يرجع إلى الغلام المضروب، والقرينة الوحيدة حسبما وجدنا في تعليل عودة الضمير على الولد المضروب هو سياق بعض الروايات، ففي بعضها قوله عليه الصلاة والسلام: «إذا قاتل أحدكم أخاه فليجتنب الوجه فإن الله خلق آدم على صورته» (38).

قال النووي مشيراً إلى هذه الرواية: "قالت طائفة الضمير في صورته عائد على الأخ المضروب وهذا ظاهر رواية مسلم". (39)

علماً أنه في رواية ابن حبان «إِذَا ضَرَبَ أَحَدُكُمْ فَأَيُّجَنَّبِ الْوَجْهَ، فَإِنَّ اللَّهَ خَلَقَ آدَمَ عَلَى صُورَتِهِ». (40)

ثم ذكر عبد الله بن عمر حديث جبريل المشهور وفيه قوله عليه الصلاة والسلام عن الإيمان « أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره » (35)  
شرح صحيح البخاري - لابن بطال (6 / 9) المؤلف: أبو الحسن علي بن خلف بن عبد الملك بن بطال البكري القرطبي دار النشر: مكتبة الرشد - السعودية / الرياض - 1423 هـ - 2003م، الطبعة: الثانية، تحقيق: أبو تميم ياسر بن إبراهيم

(36) فتح الباري - ابن حجر (3 / 11)

(37) المفاتيح في شرح المصابيح (4 / 223) المؤلف: الحسين بن محمود بن الحسن، مظهر الدين الزيداني الكوفي الصريزي الشيرازي الحنفى المشهور بالمطهرى (المتوفى: 727 هـ)، تحقيق ودراسة: لجنة مختصة من المحققين بإشراف: نور الدين طالب، الناشر: دار النوادر، وهو من إصدارات إدارة الثقافة الإسلامية - وزارة الأوقاف الكويتية، الطبعة: الأولى، 1433 هـ - 2012 م

(38) صحيح مسلم (8 / 32)

(39) شرح النووي على مسلم (16 / 166)

(40) صحيح ابن حبان (12 / 420)، قال الشيخ شعيب: إسناده صحيح، رجاله ثقات رجال الشيخين غير إبراهيم بن بشار، فقد روى له أبو داود والترمذي، وهو حافظ

وقال ابن حجر العسقلاني: " واختلف في الضمير على من يعود فالأكثر على أنه يعود على المضروب لما تقدم من الأمر بإكرام وجهه، ولولا أن المراد التعليل بذلك لم يكن لهذه الجملة ارتباط بما قبلها".<sup>(41)</sup>

"فقوله على صورته، أي: على صورة المضروب. ومعنى ذلك - والله أعلم -: أن المضروب من ولد آدم، ووجهه كوجهه في أصل الخلقة، ووجه آدم - صلى الله عليه وسلم - مكرم، ومشرف؛ إذ قد شرفه الله تعالى بأن خلقه بيده، ونفخ فيه من روحه، وأقبل عليه بكلامه، وأسجد له ملائكته.

وإذا كان هذا الوجه يشبه هذا الوجه فينبغي أن يحترم كاحترامه"<sup>(42)</sup>.

- وفي رواية أخرى لابن حبان: "لَا يَقُولَنَّ أَحَدُكُمْ: قَبَّحَ اللَّهُ وَجْهَكَ وَوَجْهَ مَنْ أَشْبَهَ وَجْهَكَ، فَإِنَّ اللَّهَ خَلَقَ آدَمَ عَلَى صورته".

قَالَ أَبُو حَاتِمٍ مَعْلَقًا عَلَى هَذِهِ الرَّوَايَةِ: " يُرِيدُ بِهِ عَلَى صُورَةِ الَّذِي قِيلَ لَهُ: قَبَّحَ اللَّهُ وَجْهَكَ مِنْ وُلْدِهِ، وَالذَّلِيلُ عَلَى أَنَّ الْخَطَّابَ لِنَبِيِّ آدَمَ دُونَ غَيْرِهِمْ قَوْلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "وَوَجْهَ مَنْ أَشْبَهَ وَجْهَكَ"، لِأَنَّ وَجْهَ آدَمَ فِي الصُّورَةِ تَشْبَهُهُ صُورَةَ وَلَدِهِ."<sup>(43)</sup>

وقال القاضي عياض: "أما على هذه الرواية -وهي شتم من أشبهه - فبين وجه هذا التعليل؛ لأنه إذا شتم من أشبهه وآدم يشبهه فكأنه شتم آدم وغيره من الأنبياء - عليهم السلام".<sup>(44)</sup>

### ثالثاً: عودة الضمير على الله

هناك من أعاد الضمير في كلمة صورته على الله عز وجل، قال ابن بطال: "وذهب طائفة إلى الهاء كناية عن الله تعالى وهذا أضعف الوجوه، لأن حكم الهاء أن ترجع إلى أقرب المذكور، إلا أن تدل دلالة على خلاف ذلك".<sup>(45)</sup>

ودليلهم في صرف عودة الضمير على الله تعالى هو ما وقع في إحدى روايات الحديث، حيث قال: خلق الله آدم على صورة الرحمن، فعن ابن عمر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لا تقبحوا الوجه،

<sup>(41)</sup> فتح الباري - ابن حجر (5/ 183)

<sup>(42)</sup> المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم (5/ 437)

<sup>(43)</sup> صحيح ابن حبان (13/ 19)

<sup>(44)</sup> إكمال المعلم شرح صحيح مسلم (8/ 88) المؤلف: عياض بن موسى بن عياض بن عمرو بن الحصبي السبتي، أبو الفضل (المتوفى: 544هـ) المحقق: الدكتور يحيى إسماعيل الناشر: دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، مصر، الطبعة: الأولى، 1419 هـ - 1998 م

<sup>(45)</sup> شرح صحيح البخاري - لابن بطال (9/ 7)

فإن ابن آدم خلق على صورة الرحمن تبارك وتعالى". رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح غير إسحاق بن إسماعيل الطالقاني، وهو ثقة وفيه ضعف (46).

وهذه الرواية كما ترى فيها ضعف، فلا تنهض للاستدلال، ولكن رواية أبي عاصم في كتابه السنن هي مدار البحث.

- ثنا يوسف بن موسى، ثنا جرير، عن الأعمش، عن حبيب بن أبي ثابت، عن عطاء، عن ابن عمر، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لا تقبحوا الوجوه، فإن ابن آدم خلق على صورة الرحمن». (47)

وقد وقف العلماء من هذه الرواية وقفات عديدة فناقشوها من حيث الإسناد والمتن، فهناك من أشار إلى أن رجال إسنادها ثقات كالحافظ ابن حجر في الفتح، وعضد ذلك بما قاله "حرب الكرمانى في كتاب السنة سمعت إسحاق بن راهويه يقول صح أن الله خلق آدم على صورة الرحمن وقال إسحاق الكوسج سمعت أحمد يقول هو حديث صحيح". (48)

وهناك من اعتبرها لا تثبت لا سنداً ولا متناً.

\*- أما عدم ثبوتها سنداً عندهم، فلوجود رجلين متهمين بالتدليس، الأول الأعمش، والثاني حبيب بن أبي ثابت.

قال ابن جماعة الكنانى: "فإن قيل فقد روي في بعض طرق الحديث على صورة الرحمن، قلنا هذه الرواية ضعيفة جدا وضعفها الأئمة وأرسلها الثوري ورفعها الأعمش، وكان يدلس أحياناً إذا لم يُصرح بالسَّماع، وفي رواته حبيب بن أبي ثابت، وكان يدلس، ولم يُصرح بِسَماعِهِ عَن عطاء". (49)

هذا وإن للشيخ الألبانى- رحمه الله تعالى- بحثاً نفيساً طويلاً في بيان ضعف هذا الحديث، حيث ذهب أولاً إلى أنه ضعيف من حيث السند وذكر عللاً في الإسناد يطول شرحها، وردّ على من قال عن الحديث أنه صحيح كابن حجر العسقلانى وابن راهويه وغيرهم،

(46) مجمع الزوائد ومنبع الفوائد (22 / 8) للحافظ نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي المتوفى سنة 807، بتحريير الحافظين الجليلين: العراقي وابن حجر، جميع الكتاب مدقق مرتين، تم التدقيق الثاني بالمقابلة مع طبعة دار الفكر، بيروت، طبعة 1412 هـ، الموافق 1992 ميلادي

(47) السنة لابن أبي عاصم (29 / 2) مصدر الكتاب: موقع جامع الحديث <http://www.alsunnah.com>

(48) فتح الباري - ابن حجر (5 / 183)

(49) إيضاح الدليل في قطع حجج أهل التعطيل (ص: 154) المؤلف: أبو عبد الله، محمد بن إبراهيم بن سعد الله بن جماعة الكنانى الحموي الشافعي، بدر الدين (المتوفى: 733 هـ) المحقق: وهبي سليمان غاوجي الألبانى، الناشر: دار السلام للطباعة والنشر - مصر، الطبعة: الأولى، 1410 هـ - 1990 م

ثم ذهب الألباني -رحمه الله - إلى أن لفظة على (صورة الرحمن) هي لفظة منكرة تخالف بقية الروايات الصحيحة، ولولا خشية الإطالة لنقلنا لك كلامه كاملاً، ويمكنك أن تراجع في السلسلة الضعيفة: (50)

\*- وأما من حيث المتن، فعامة من ردّ هذه الرواية قال إن الراوي توهم في المعنى، فظنّ أن الضمير في قوله عليه الصلاة والسلام (على صورته) يعود على الله تعالى، فروى الحديث بالمعنى، فقال (على صورة الرحمن).

قال ابن جماعة: "فإن قيل فقد رُوِيَ في بعض طرق الحديث على صورة الرَّحْمَنِ فَيَحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ بَعْضُ الرِّوَاةِ تَوْهَمَ عَوْدِ الضَّمِيرِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى فَرَوَاهُ بِالْمَعْنَى عَلَى زَعْمِهِ وَاعْتِقَادِهِ فَأَخْطَأَ" (51)

وبمثل قوله قال القاضي عياض: (52) وقال المازري: "هذا الحديث بهذا اللفظ: إن الله خلق آدم على صورة الرحمن، ليس بثابت عند أهل الحديث وكأن من نقله رواه بالمعنى الذي وقع له" (53)

وقال الشيخ شعيب في تعليق له في سنن أبي داود وفي مسند أحمد بن حنبل: "التبس على بعض الرواة الأمر في حديث: "إن الله خلق آدم على صورته" فظن أن الضمير يعود على الله، فأبدل المكنى بالاسم المظهر، فقال: إن الله خلق آدم على صورة الرحمن" (54).

#### لو صح حديث (على صورة الرحمن) فما هو المعنى المترتب على عودة الضمير على الله عز وجل؟

1- هناك من شطح فقال قولاً إن لم يكن كفراً فهو أقرب إلى الكفر منه للإيمان، فقد قال محيي الدين بن عربي: "الصورة على معناها، ومغزى الحديث: أن الله سبحانه وتعالى لو تنزّل إلى عالم الناسوت، لكان في صورة الإنسان، فإن ذلك صورته في هذا العالم، لو كانت. ألا ترى أنه أسند إلى نفسه: العين، والقدم، والأصابع، والوجه، والساق، واليد، والحفوة، اليمين، والقبضة، والرداء، والإزار، إسناداً شائعاً في القرآن والحديث،

(50) سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة (3/ 316) المؤلف: محمد ناصر الدين بن الحاج نوح الألباني، المشهور بالألباني، الطبعة: الأولى، دار النشر: دار المعارف، البلد: الرياض -المملكة العربية السعودية، سنة الطبع: 1412 هـ / 1992 م

(51) إيضاح الدليل في قطع حجج أهل التعطيل (ص: 154) المؤلف: أبو عبد الله، محمد بن إبراهيم بن سعد الله بن جماعة الكناني الحموي الشافعي، بدر الدين (المتوفى: 733هـ) المحقق: وهبي سليمان غاوجي الألباني، الناشر: دار السلام للطباعة والنشر - مصر، الطبعة: الأولى، 1410هـ -1990م

(52) إكمال المعلم شرح صحيح مسلم (8/ 42)

(53) شرح النووي على مسلم (16/ 166)

(54) سنن أبي داود (5/ 404) المؤلف: أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السجستاني (المتوفى: 275هـ) المحقق: شعيب الأرناؤوط - محمّد كامل قره بللي، الناشر: دار الرسالة العالمية، الطبعة: الأولى، 1430 هـ - 2009 م

مسند أحمد بن حنبل (11/ 271) المؤلف: أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (المتوفى: 241هـ)، المحقق: شعيب الأرناؤوط - عادل مرشد، وآخرون، إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، 1421 هـ - 2001 م

ولا ريب أنها هي جليئة الإنسان؟ فلو فرضنا فرضَ المُحَالِ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى لو كان نازلاً في العالم الناسوتي، لَمَا كانت جليئة إلا حلية الإنسان." (55)

وهذا كلام شاذ لا يقوله مؤمن بوحداية الله تعالى، بل هو من قول أهل الحلول والاتحاد والعياذ بالله.

2- قيل المُرَاد بالصورة الصفة أي على صفته من العلم والإرادة والسلطة بخلاف سائر حيوانات الأرض وميزه بها وميزه على الملائكة بسجودهم له فيكون المُرَاد بالصورة الصفة من: العلم، والحياة، والسمع، والبصر، وإن كانت صفاته تعالى لا يشبهها شيء. (56)

3- إن الإضافة للتشريف والتكريم كناية الله وبيت الله أي الصورة التي اختارها لآدم، قيل إن الإضافة إضافة المالك والخلق لأنه الذي خلق صورة آدم وهو مالكها ومخترعها كما قال تعالى { هَذَا خَلْقُ اللَّهِ } وَذَلِكَ لِأَنَّ الصِّفَةَ كَمَا يَصِحُّ إِضَافَتُهَا إِلَى الْمُؤَصِّفِ يَصِحُّ إِضَافَتُهَا إِلَى خَالِقِهَا وَمَوْجِدِهَا تَشْرِيفًا لَهَا وَتَكْرِيمًا. (57)

فإن يكون الضمير راجعاً إلى الله - سبحانه - مثل رجوع الضمير إليه في قولنا بيت الله، وناقة الله، وما يشبه ذلك من إضافة التكريم. والمعنى: أن الله تعالى أكرم هذه الصورة بإضافتها إليه؛ لأنه أبدعها إبداعاً عجيباً لم يشارك الإنسان فيها أحد، فهي أحسن الصورة، كما قال سبحانه: { وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ } ثم أكرمها بسجود ملائكته، فمن حق هذه الصورة أن تكرم فلا يستهان بها، فإن الله أكرمها وليس لأحد أن يستخف بما ألبسه الله لباس الكرامة، فيكره أن يقصد الوجه بالضرب؛ لأن الله خلق آدم على صورته التي أكرمها بالإضافة إلى نفسه للمعاني التي ذكرناها. (58)

قال ابن بطال: "نظرنا في الإضافات إلى الله فوجدناها على وجوه، منها إضافة الفعل، كما يقال: خلق الله، وأرض الله، وسماء الله، وإضافة الملك فيقال: رزق الله، ووعيد الله، وإضافة اختصاص وتنويه بذكر المضاف إليه، كقولهم: الكعبة بيت الله، وكقوله { وَنَفَخْتَ فِيهِ مِنْ رُوحِي }، ووجه آخر من الإضافة نحو قولهم: كلام الله،

(55) فيض الباري على صحيح البخاري (6/ 187) المؤلف: (أمامي) محمد أنور شاه بن معظم شاه الكشميري الهندي ثم الديوبندي (المتوفى: 1353هـ)، المحقق: محمد بدر عالم الميرته، أستاذ الحديث بالجامعة الإسلامية بداهيل (جمع الأمالي وحررها ووضع حاشية البدر الساري إلى فيض الباري)، الناشر: دار الكتب العلمية بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى، 1426 هـ - 2005 م

(56) فتح الباري - ابن حجر (3/ 11)، وكذلك التوشيح شرح الجامع الصحيح (8/ 3739) المؤلف: عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: 911 هـ)، المحقق: رضوان جامع رضوان، الناشر: مكتبة الرشد - الرياض، الطبعة الأولى، 1419 هـ - 1998 م

(57) إيضاح الدليل في قطع حجج أهل التعطيل (ص: 154) المؤلف: أبو عبد الله، محمد بن إبراهيم بن سعد الله بن جماعة الكناني الحموي الشافعي، بدر الدين (المتوفى: 733هـ) المحقق: وهبي سليمان غاوجي الألباني، الناشر: دار السلام للطباعة والنشر - مصر، الطبعة: الأولى، 1410 هـ - 1990 م

(58) الميسر في شرح مصابيح السنة (3/ 824) المؤلف: فضل الله بن حسن بن حسين بن يوسف أبو عبد الله، شهاب الدين الثوري الشافعي (المتوفى: 661 هـ)، المحقق: د. عبد الحميد هندواوي، الناشر: مكتبة نزار مصطفى الباز، الطبعة: الثانية، 1429 هـ - 2008 هـ

وعلم الله، وقدرة الله، وهي إضافة اختصاص من طريق القيام به، وليس من وجهة الملك والتشريف بل ذلك على معنى إرادته غير متعربة منها قياماً بها ووجوداً. ثم نظرنا إلى إضافة الصورة إلى الله فلم يصح أن يكون وجه إضافتها إليه على نحو إضافة الصفة إلى الموصوف بها من حيث تقوم به، لاستحالة أن يقوم بذاته تعالى حادث فبقى من وجوه الإضافة الملك والفعل والتشريف، فأما الملك والفعل فوجهه عام وتبطل فائدة التخصيص فبقى إنها إضافة تشريف، وطريق ذلك أن الله هو الذى ابتداءً تصوير آدم إضافة تشريف، وطريق ذلك أن الله هو الذى ابتداءً تصوير آدم على مثال سبق بل اخترع من بعده على مثاله، فتشرفت صورته بالإضافة إليه". (59)

4- خلقه على الصورة التي ارتضاها الرحمن أن تكون صورة لآدم، إذ لم يكن في خلق الله خلق على صورته في البنية والحال إذ الملائكة على حالة واحدة، والله أعلم بصورة بنيتهم غير أن الأخبار وردت بأنه لم يكن قبله شيء من المخلوقين على صورته وخلقته، قال الله تعالى لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم. (60)

5- إثبات صفة الصورة، وإمراره كما جاء من غير اعتقاد تشبيه. (61)

قال الذهبي معلقاً على الحديث: "فهذا الحديث الصحيح مخرج في كتابي (البخاري) و(مسلم)، فنؤمن به، ونفوض، ونسلم، ولا نخوض فيما لا يعنينا، مع علمنا بأن الله ليس كمثل شيء، وهو السميع البصير." (62)

وقال ابن قتيبة "إن صحت رواية بن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم بذلك فهو كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فلا تأويل ولا تنازع فيه، والذي عندي والله تعالى أعلم أن الصورة ليست بأعجب من اليدين والأصابع والعين وإنما وقع الإلف لتلك لمجبتها في القرآن ووقعت الوحشة من هذه لأنها لم تأت في القرآن ونحن نؤمن بالجميع ولا نقول في شيء منه بكيفية ولا حد". (63)

وهذا القول بالذات وجدنا ابن خزيمة في كتاب التوحيد ياباه ويرفضه ويشنع عليه، ويتأول الخبر على غير ظاهره، (64)

(59) شرح صحيح البخاري - لابن بطال (8 / 9)

(60) بحر الفوائد المسمى بمعاني الأخبار (ص: 79) أبو بكر محمد بن أبي إسحاق إبراهيم بن يعقوب الكلابي البخاري، سنة الولادة / سنة الوفاة 384 هـ، تحقيق محمد حسن محمد حسن إسماعيل - أحمد فريد المزيدي، الناشر دار الكتب العلمية، سنة النشر 1420هـ - 1999م، مكان النشر بيروت / لبنان

(61) عمدة القاري شرح صحيح البخاري (20 / 43)

(62) سير أعلام النبلاء للذهبي (10 / 55) المؤلف: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد الذهبي، المحقق: مجموعة محققين بإشراف شعيب الأرنؤوط، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: غير متوفرة، عدد الأجزاء: 23، مصدر الكتاب: برنامج المحدث

(63) تأويل مختلف الحديث (ص: 220) المؤلف: عبدالله بن مسلم بن قتيبة أبو محمد الدينوري، الناشر: دار الجيل - بيروت، 1393 - 1972، تحقيق: محمد زهري النجار

(64) قال الذهبي رحمه الله تعالى في سير أعلام النبلاء (14 / 374) "ولابن خزيمة عظمة في النفوس، وجلالة في القلوب؛ لعلمه ودينه واتباعه السنة، وكتابه في (التوحيد) مجلد كبير، وقد تأول في ذلك حديث الصورة"

ففي كتاب التوحيد لابن خزيمة رحمه الله تعالى: قال أبو بكر: توهم بعض من لم يتحر العلم أن قوله: «على صورته» يريد صورة الرحمن عز ربنا وجل عن أن يكون هذا معنى الخبر، بل معنى قوله: «خلق آدم على صورته»، الهاء في هذا الموضع كناية عن اسم المضروب، والمشتوم، أراد صلى الله عليه وسلم أن الله خلق آدم على صورة هذا المضروب، الذي أمر الضارب باجتئاب وجهه بالضرب، والذي قبح وجهه، فزجر صلى الله عليه وسلم أن يقول: «ووجه من أشبه وجهك»، لأن وجه آدم شبيهه وجوه بنييه، فإذا قال الشاتم لبعض بني آدم: قبح الله وجهك ووجه من أشبه وجهك، كان مقبحا وجه آدم صلوات الله عليه وسلامه، الذي وجوه بنييه شبيهة بوجه أبيهم، فتفهموا رحمكم الله معنى الخبر، لا تغلطوا ولا تغالطوا فتضلوا عن سواء السبيل، وتحملوا على القول بالتشبيه الذي هو ضلال.

وقد رويت في، نحو لفظة أغمض - يعني من اللفظة التي ذكرناها - في خبر أبي هريرة وهو ما حدثننا به يوسف بن موسى، قال: ثنا جرير، عن الأعمش، عن حبيب بن أبي ثابت، عن عطاء بن أبي رباح، عن ابن عمر، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لا تُقَبِّحُوا الْوَجْهَ فَإِنَّ ابْنَ آدَمَ خُلِقَ عَلَى صُورَةِ الرَّحْمَنِ».

وَرَوَى الثَّوْرِيُّ، هَذَا الْخَبْرَ مُرْسَلًا غَيْرَ مُسْنَدٍ، حَدَّثَنَا أَبُو مُوسَى، مُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى، قَالَ: ثنا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ مَهْدِيٍّ، قَالَ: ثنا سُفْيَانُ، عَنْ حَبِيبِ بْنِ أَبِي ثَابِتٍ، عَنْ عَطَاءٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا يُفَبِّحُ الْوَجْهَ فَإِنَّ ابْنَ آدَمَ خُلِقَ عَلَى صُورَةِ الرَّحْمَنِ».

قال أبو بكر: وقد افتتن بهذه اللفظة التي في خبر عطاء عالم ممن لم يتحر العلم، وتوهموا أن إضافة الصورة إلى الرحمن في هذا الخبر من إضافة صفات الذات، فغلطوا في هذا غلطا بينا، وقالوا مقالة شنيعة مضاهية لقول المشبهة، أعاذنا الله وكل المسلمين من قولهم.

فإن صح الخبر، فمعنى هذا الخبر عندنا أن إضافة الصورة إلى الرحمن في هذا الخبر إنما هو من إضافة الخلق إليه؛ لأن الخلق يضاف إلى الرحمن، إذ الله خلقه، وكذلك الصورة تضاف إلى الرحمن، لأن الله صورها، ألم تسمع قوله عز وجل: { هذا خلق الله فأروني ماذا خلق الذين من دونه } [لقمان: 11]، فأضاف الله الخلق إلى نفسه، إذ الله تولى خلقه، وكذلك قول الله عز وجل: { هذه ناقة الله لكم آية } [الأعراف: 73]، فأضاف الله الناقة إلى نفسه، وقال: { تأكل في أرض الله } [الأعراف: 73]، وقال: { ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها } [النساء: 97]؟ قال: { إن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده } [الأعراف: 128] فأضاف الله الأرض إلى نفسه، إذ الله تولى خلقها فبسطها، وقال: { فطرة الله التي فطر الناس عليها } [الروم: 30]، فأضاف الله الفطرة إلى نفسه إذ الله فطر الناس عليها، فما أضاف الله إلى نفسه على معنيين: أحدهما: إضافة الذات، والآخر: إضافة الخلق فتفهموا هذين المعنيين، لا تغالطوا فمعنى الخبر إن صح من طريق النقل مسندا،

فإن ابن آدم خلق على الصورة التي خلقها الرحمن، حين صور آدم، ثم نفخ فيه الروح، قال الله جل وعلا: { ولقد خلقناكم ثم صورناكم } [الأعراف: 11].<sup>(65)</sup>

**والخلاصة أنه مروى عن علماء السلف قولان في المسألة: قول ابن خزيمة بتأويل الحديث، وقول ابن قتيبة بأخذ الحديث على ظاهره.**

وقد طرح الشيخ محمد بن صالح العثيمين جميع الأقوال ما عدا قولي ابن قتيبة وابن خزيمة، فقال جمعاً بين القولين: "قال بعض العلماء: إما أن يبقى الحديث على ظاهره ويقال: إن الله خلق آدم على صورته، لكن لا يلزم من كونه على صورته أن يكون مماثلاً له بدليل أن أول زمرة تدخل الجنة على صورة القمر ليلة البدر، ومع ذلك فليست مماثلة له، وقال آخرون: على صورته كقوله: ناقة الله وبيت الله وما أشبه ذلك أي: على صورته التي اختارها عز وجل لهذا البشر الذين منهم الأنبياء والأولياء والأتقياء فاعتنى - سبحانه وتعالى - بهذا الوجه أو بهذا الإنسان فأضافه إلى نفسه ويكون هذا من باب إضافة التشريف وهذان القولان هما اللذان يتوجهان في الحديث، أما ما سواهما فهو باطل"<sup>(66)</sup>.

#### تعقيب على ما سبق:

كما نرى فإن مرجع كل الأقوال السابقة إلى كون الضمير في (خلق الله آدم على صورته) يعود على الله تعالى، بدليل رواية (على صورة الرحمن)، ومادامت رواية (على صورة الرحمن) غير صحيحة بل منكورة، كما قال الشيخ الألباني رحمه الله، فبالتالي بطل الاستدلال بها على إثبات صفة الصورة من هذا الحديث، والأولى أن يتم الاستدلال بالأحاديث الأخرى الصحيحة التي جاءت فيها لفظة الصورة صريحة.

قال الشيخ الألباني معلقاً على الحديث: "التأويل طريقة الخلف، وإمراره كما جاء طريقة السلف، وهو المذهب، ولكن ذلك موقوف على صحة الحديث عن الرسول صلى الله عليه وسلم، وقد علمت أنه لا يصح كما بينا لك آنفاً".<sup>(67)</sup>

وقال الشيخ البراك: "من ردّ من أهل السنّة الضمير إلى آدم عليه السلام، وضعّف رواية: "على صورة الرحمن"، فليس مقصوده التوصل إلى نفي الصورة عن الله عز وجل، وليس من مذهبه ذلك، بل رأى لفظ هذا الحديث: "خلق الله آدم على صورته" مُحْتَمِلاً، فترجّح عنده عود الضمير إلى آدم، أو إلى المُقَاتِلِ، وهو منازع

<sup>(65)</sup> كتاب التوحيد وإثبات صفات الرب عز وجل (1/ 84) المؤلف: أبو بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة بن المغيرة بن صالح بن بكر السلمي النيسابوري (المتوفى: 311هـ) المحقق: عبد العزيز بن إبراهيم الشهوان الناشر: مكتبة الرشد - السعودية - الرياض، الطبعة: الخامسة، 1414هـ - 1994م

<sup>(66)</sup> فتح ذي الجلال والإكرام بشرح بلوغ المرام (6/ 369) الكتاب: فتح ذي الجلال والإكرام بشرح بلوغ المرام، المؤلف: محمد بن صالح العثيمين، تحقيق وتعليق: صبحي بن محمد رمضان، أم إسراء بنت عرفة بيومي، الناشر: المكتبة الإسلامية للنشر والتوزيع، الطبعة: الأولى، 1427 هـ - 2006 م

<sup>(67)</sup> سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة (3/ 318)

في تضعيفه لتلك الرواية، وفي هذا الترجيح. وبهذا يتبين أن إثبات الصورة لله عز وجل لا يتوقف على دلالة حديث: "خلق الله آدم على صورته". (68)

### والخلاصة في هذا الأمر:

أن العلماء اختلفوا في معنى قوله عليه الصلاة والسلام (خلق الله آدم على صورته)، فهناك من أثبت الصورة من هذا الحديث (كابن قتيبة) باعتبار أن الضمير في هذه كلمة "صورته" يعود على الله تعالى، مستنداً بالرواية الضعيفة (على صورة الرحمن)، بينما عامة العلماء وعلى رأسهم ابن خزيمة، حملوا الحديث على أن الضمير في كلمة "صورته" يعود على آدم أو المضروب، وبالتالي فلا وجه للاستدلال بالحديث على إثبات الصورة، والمعول عليه في ذلك الأحاديث الأخرى، وليس هذا الحديث لعدم صحة الرواية الصريحة بلفظة (على صورة الرحمن) ولوجود قرائن شرعية ولغوية تصرف عودة الضمير إلى آدم أو المضروب.

### الخاتمة:

وبعد هذه الجولة السريعة تبين أن من منهج السلف أن يعذر بعضهم بعضاً في المسائل الخلافية، فلا يتهم بعضهم بعضاً بالكفر والضلال والزيغ والانحراف والخلل في العقيدة في مسألة تحتل الخلاف، وأما المسائل القطعية وما علم من الدين بالضرورة فالأمر على غير ذلك.

وقد قدّمت هذا البحث كنموذج عملي عن أحد أسباب اختلاف الفقهاء والعلماء والسلف فيما بينهم في الفهم والاستنباط، ألا وهو اللغة العربية وأخذت (عودة الضمير على ما سبقه) نموذجاً على الفكرة، وشفعتها ببعض الأمثلة في الفقه والعقيدة، ناسباً كل قول إلى صاحبه في المراجع التي بين يدي.

وإنني أتمنى أن يكون ما قدمته في هذا البحث دافعاً لطلاب العلم للبحث والاطلاع وقراءة أمهات كتب العلماء في التفسير وشروح الحديث، فيزيد عليه ويبني فوقه فينفع غيره وينتفع هو بالأجر والثواب.

ونسأل الله تعالى أن يعيننا على طاعته، وأن يعلمنا ما ينفعنا وينفعنا بما علمنا، وأن يكون هذا العلم حجة لنا لا حجة علينا، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

(68) البحر المحيط الثجاج في شرح صحيح الإمام مسلم بن الحجاج (43/ 653) المؤلف: محمد بن علي بن آدم بن موسى الإتيوبي الولوي، الناشر: دار ابن الجوزي، الطبعة: الأولى، (1426 - 1436 هـ)

## المصادر والمراجع

### \* القرآن الكريم

### \*- كتب التفسير

- أبو جعفر الطبري، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الأملي. (1420 هـ - 2000 م). جامع البيان في تأويل القرآن. ط 1. المحقق: أحمد محمد شاكر. الناشر: مؤسسة الرسالة. مصدر الكتاب: موقع مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف [www.qurancomplex.com](http://www.qurancomplex.com)

- الرازي، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري. (1420 هـ). مفاتيح الغيب التفسير. ط 3. الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت.

- الشعراوي، محمد متولي الشعراوي. (1997). تفسير الشعراوي. مصدر الكتاب: المكتبة الشاملة الإصدار الثاني، الناشر: مطابع أخبار اليوم، عدد الأجزاء: 20، و(ليس على الكتاب الأصل (المطبوع) أي بيانات عن رقم الطبعة أو غيره.

- القرطبي، أبو عبد الله مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ أَبِي بَكْرٍ بن فرح الأنصاري الخزرقي شمس الدين القرطبي. (1384 هـ - 1964 م). الجامع لأحكام القرآن تفسير القرطبي. ط 2. تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، الناشر: دار الكتب المصرية. القاهرة.

### \*- كتب السنة النبوية:

- أحمد بن حنبل، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (المتوفى: 241 هـ). (1421 هـ - 2001 م). مسند أحمد بن حنبل. ط 1. المحقق: شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد، وآخرون، إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي. الناشر: مؤسسة الرسالة.

- ونسخة ثانية من مسند الإمام أحمد بن حنبل، (1416 هـ - 1995 م). ط 1. المحقق: أحمد محمد شاكر، الناشر: دار الحديث - القاهرة.

- البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي. (1407 - 1987). صحيح البخاري الجامع الصحيح المختصر. ط 3. الناشر: دار ابن كثير. اليمامة - بيروت، تحقيق: د. مصطفى ديب البغا أستاذ الحديث وعلومه في كلية الشريعة - جامعة دمشق.

- الدارمي، محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبَد، التميمي أبو حاتم البُستي. (1408 هـ - 1988).  
الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان. ط 1. ترتيب: الأمير علاء الدين علي بن بلبان الفارسي (المتوفى: 739 هـ)، حققه وخرج أحاديثه وعلق عليه: شعيب الأرنؤوط. الناشر: مؤسسة الرسالة. بيروت.

- أبو داود، المؤلف: سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السَّجِسْتَانِي (المتوفى: 275 هـ). (1430 هـ - 2009 م). سنن أبي داود. ط 1. المحقق: شعيب الأرنؤوط - مَحَمَّد كامل قره بللي. الناشر: دار الرسالة العالمية.

- أبو عاصم، (د.ت). السنة. مصدر الكتاب: موقع جامع الحديث <http://www.alsunnah.com>

- مسلم القشيري، أبو الحسين مسلم بن الحجاج بن النيسابوري. الجامع الصحيح المسمى صحيح مسلم. الناشر: دار الجيل بيروت + دار الأفق الجديدة - بيروت.

#### \* كتب التخريج والتحقيق:

- الألباني، محمد ناصر الدين بن الحاج نوح الألباني. (1412 هـ / 1992 م). سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة، ط: 1. دار النشر: دار المعارف، البلد: الرياض. المملكة العربية السعودية.

- الألباني، محمد ناصر الدين بن الحاج نوح الألباني. السلسلة الصحيحة الكاملة. مصدر الكتاب: المكتبة الشاملة - الألباني، محمد ناصر الدين بن الحاج نوح الألباني. السلسلة الصحيحة. الناشر: مكتبة المعارف - الرياض.

- الهيثمي، نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي المتوفى سنة 807. (1412-1992 م). مجمع الزوائد ومنبع الفوائد بتحرير الحافظين الجليلين: العراقي وابن حجر. جميع الكتاب مدقق مرتين. تم التدقيق الثاني بالمقابلة مع طبعة دار الفكر. بيروت.

#### \* كتب غريب الحديث وشروحات السنة:

- (أمالِي)، المؤلف: محمد أنور شاه بن معظم شاه الكشميري الهندي ثم الديوبندي. (1426 هـ - 2005 م). فيض الباري على صحيح البخاري. ط 1. المحقق: محمد بدر عالم الميرتهي أستاذ الحديث بالجامعة الإسلامية بداهيل (جمع الأمالي وحررها ووضع حاشية البدر الساري إلى فيض الباري). الناشر: دار الكتب العلمية بيروت - لبنان.

- الثَّورِيشْتِي، فضل الله بن حسن بن حسين بن يوسف أبو عبد الله، شهاب الدين الثَّورِيشْتِي (المتوفى: 661 هـ)، (1429 هـ - 2008 هـ). الميسر في شرح مصابيح السنة. ط 2. المحقق: د. عبد الحميد هندواي. الناشر: مكتبة نزار مصطفى الباز.

- الحنفي، بدر الدين العيني الحنفي. عمدة القاري شرح صحيح البخاري. مصدر الكتاب: ملفات وورد من ملتقى أهل الحديث <http://www.ahlalhdeth.com>
- الخطابي، حمد بن محمد بن إبراهيم الخطابي البستي أبو سليمان. (1402 هـ). غريب الحديث للخطابي، تحقيق: عبد الكريم إبراهيم العزباوي. الناشر: جامعة أم القرى - مكة المكرمة.
- الدينوري، عبد الله بن مسلم بن قتيبة أبو محمد الدينوري. (1393 - 1972 م). تأويل مختلف الحديث. الناشر: دار الجيل - بيروت. تحقيق: محمد زهري النجار.
- السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين السيوطي. (1419 هـ - 1998 م). التوشيح شرح الجامع الصحيح. ط 1. المحقق: رضوان جامع رضوان. الناشر: مكتبة الرشد - الرياض.
- العثيمين، محمد بن صالح العثيمين. (1427 هـ - 2006 م). فتح ذي الجلال والإكرام بشرح بلوغ المرام. ط 1. تحقيق وتعليق: صبحي بن محمد رمضان. أم إسراء بنت عرفة بيومي. الناشر: المكتبة الإسلامية للنشر والتوزيع.
- العسقلاني، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي. (1379). فتح الباري شرح صحيح البخاري. الناشر: دار المعرفة. بيروت.
- القاضي عياض، عياض بن موسى بن عياض بن عمرو اليحصبي السبتي (المتوفى: 544 هـ). (1419 هـ - 1998 م). إكمال المعلم شرح صحيح مسلم. ط 1. المحقق: الدكتور يحيى إسماعيل الناشر: دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، مصر.
- القرطبي، المؤلف: أبو الحسن علي بن خلف بن عبد الملك بن بطال البكري القرطبي. (1423 هـ - 2003 م). شرح صحيح البخاري. ط 2. تحقيق: أبو تميم ياسر بن إبراهيم. دار النشر: مكتبة الرشد - السعودية / الرياض.
- القرطبي، المؤلف: أبو العباس أحمد بن عمر بن إبراهيم القرطبي. (1417 هـ - 1996 م). المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، ط 1، حققه وعلق عليه وقدم له: محيي الدين ديب ميستو - أحمد محمد السيد - يوسف علي بديوي - محمود إبراهيم بزال الناشر: (دار ابن كثير، دمشق - بيروت). (دار الكلم الطيب. دمشق - بيروت).
- الكرمانى، محمد بن يوسف بن علي بن سعيد، شمس الدين الكرمانى. (1401 هـ - 1981 م). الكواكب الدراري في شرح صحيح البخاري. ط 2. الناشر: دار إحياء التراث العربي. بيروت-لبنان.

- الكلاباذي، أبو بكر محمد بن أبي إسحاق إبراهيم بن يعقوب الكلاباذي البخاري، (1420هـ - 1999م).. بحر الفوائد المشهور بمعاني الأخبار، تحقيق محمد حسن محمد حسن إسماعيل - أحمد فريد المزيدي، الناشر دار الكتب العلمية، بيروت / لبنان.

- محمد بن علي بن آدم بن موسى الإتيوبي الولوي ( 1426 – 1436 هـ). البحر المحيط الثجاج في شرح صحيح الإمام مسلم بن الحجاج. ط 1. الناشر: دار ابن الجوزي.

- المظهوري، الحسين بن محمود بن الحسن، مظهر الدين الزيداني الكوفي الضربير الشيرازي الحنفي المشهور بالمظهوري. (1433 هـ - 2012 م). المفاتيح في شرح المصابيح. ط 1. تحقيق ودراسة: لجنة مختصة من المحققين بإشراف: نور الدين طالب. الناشر: دار النوادر. وهو من إصدارات إدارة الثقافة الإسلامية - وزارة الأوقاف الكويتية.

- النووي، أبو زكريا يحيى بن شرف بن مري النووي. (1392 هـ). المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج شرح النووي على مسلم. ط 2. الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت.

#### \* كتب عامة أخرى

- الحموي الشافعي، أبو عبد الله، محمد بن إبراهيم بن سعد الله بن جماعة الكناي الحموي الشافعي بدر الدين. (1410هـ - 1990م). إيضاح الدليل في قطع حجج أهل التعطيل. ط 1. المحقق: وهبي سليمان غاوجي الألباني. الناشر: دار السلام للطباعة والنشر - مصر.

- ابن حمدون، كتاب التذكرة الحمدونية، مصدر الكتاب: موقع الوراق

<http://www.alwarraq.com>

- الدّهبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد الدّهبي. (د. ت). سير أعلام النبلاء للذهبي. (د. ط). المحقق: مجموعة محققين بإشراف شعيب الأرنؤوط. الناشر: مؤسسة الرسالة. عدد الأجزاء: 23، مصدر الكتاب: برنامج المحدث.

- ابن عبد ربه الأندلسي، العقد الفريد، مصدر الكتاب: موقع الوراق <http://www.alwarraq.com>

- ابن عساكر، المؤلف أبو القاسم علي بن الحسن ابن هبة الله بن عبد الله الشافعي، ( 1995م ). أريخ مدينة دمشق، تاريخ مدينة دمشق وذكر فضلها وتسمية من حلها من الأماثل أو اجتاز بنواحيها من واردتها وأهلها، تحقيق محب الدين أبي سعيد عمر بن غرامة العمري، الناشر دار الفكر، سنة النشر مكان النشر بيروت.

-القاضي عياض، القاضي أبي الفضل عياض اليحصبي. (1409 هـ -1988 م). الشفاء بتعريف حقوق المصطفى. ط 1. مذيلا بالحاشية المسماة مزيل الخفاء عن ألفاظ الشفاء، للعلامة أحمد بن محمد بن محمد الشمنى 873 هـ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع،بيروت لبنان.

- النيسابوري، أبو بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة بن المغيرة بن صالح بن بكر السلمي النيسابوري. (1414 هـ -1994م). كتاب التوحيد وإثبات صفات الرب عز وجل. ط 5. المحقق: عبد العزيز بن إبراهيم الشهبان الناشر: مكتبة الرشد -السعودية - الرياض.

Doi: [doi.org/10.52133/ijrsp.v3.24.2](https://doi.org/10.52133/ijrsp.v3.24.2)